﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ [طه: 39]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تفسير مضامين الوحي لأمّ موسى، بعد وروده مبهمًا

بعد أن قال سبحانه في الآية السَّابقة: ﴿إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾، وأبهم هذا الموحَى، فسَّره بعد ذلك بقوله: ﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ الآية، فكان مِن باب التّفسير بعدَ الإبهام.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱقۡذِفِيهِ﴾: (قذف) أَصْلٌ يَدُلُّ على الرَّمي البَعيدِ والطَّرْحِ، يُقالُ: قَذَفَ الشَّيْءَ يَقْذِفُهُ قَذْفًا، إذا رَمَى به بعيدًا[1]، ولاعتبار البُعد فيه قيل: منزلٌ قَذَفٌ وقَذيفٌ، وبلدةٌ قَذوفٌ: بعيدة[2]، والقِذاف ما أَطقْتَ حَملَه بيَدِك ورمَيتَه[3].

2) ﴿ٱلتَّابُوتِ﴾: أَصْلُ الكلمةِ مِنَ التَّوْبِ، وهو: الرُّجوعُ، يُقال: تابَ، يَتوبُ، تَوْبًا، أيْ: رَجَعَ، ومنه سُمّيَ به صُنْدوقُ الميِّتِ؛ لأنَّه لا يَزالُ يَرْجِعُ إليه ما يَخْرُجُ مِنْهُ، والتَّابوتُ: الوِعاءُ والصُّنْدوقُ الَّذي يُحْفَظُ فيه المَتاعُ، أو ما يَعِزُّ قَدْرُهُ، ومِن مَعانيه أيضًا: الأَضْلاعُ وما تَحْويه كالقَلْبِ والكَبِدِ، ومِنْهُ سُمّيَ القَلْبُ تابوتَ الحِكْمَةِ وبَيْتَ العِلْمِ[4]، والمُرادُ به في الآيةِ: الصُّنْدوقُ.

3) ﴿ٱلۡيَمِّ﴾: كلمة (يمّ) تدلُّ على قوَّة مُمتدَّة بجمعٍ مُتَّصلٍ،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قذف).
(2) الرَّاغب، المفردات: (قذف).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (قذف).
(4) الرَّاغب، المفردات، وابن الأثير، النّهاية، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (تبت)، والمناويّ، التّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 89.

ومنه: اليَمُّ، وهو نهرٌ كبيرٌ ممتدٌّ في سيره، وقيل: هو البَحْرُ[1]، وزادَ اللَّيْثُ: الَّذي لا يُدْرَكُ قَعْرُهُ، ولا شَطَّاهُ، ويُقالُ أيضًا: اليَمُّ: لُجَّةُ البَحْرِ[2]، قالَ الأزْهَريُّ: ويَقَعُ اسمُهُ على ما كانَ ماؤُهُ مِلْحًا زُعاقًا، وعلى النَّهْرِ الكَبيرِ العَذْبِ الماءِ[3]، وهو نَهْرُ النّيلِ بِمِصْرَ، فماؤُهُ عَذْبٌ، ولَهُ ساحِلٌ، وهَذا كُلُّهُ يَدُلُّ على بُطْلانَ قَوْلِ اللَّيْثِ: إنَّهُ البَحْرُ الَّذي لا يُدْرَكُ قَعْرُهُ، ولا شَطَّاه[4]، وعليه فـ﴿ٱلْيَمِّ﴾ في الآية: هو نَهْرُ النّيل الكبير المُمتدّ الَّذي يصِل في سيره حيثُ يقيم فرعون.

4) ﴿فَلْيُلْقِهِ﴾: (لقي) أَصْلٌ يَدُلُّ على طَرْحِ شَيْءٍ[5]، واللَّقِيُّ: الشَّيْءُ المُلْقى المَنْبوذ[6]، والإِلْقاءُ: طَرْحُ الشَّيء حيثُ تلقاه، أي: تراه، ثمَّ صارَ في التَّعارف اسمًا لكلِّ طَرْحٍ[7]، ويُطلَقُ على الإِفْضاءِ بالكلام: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ [الشُّعراء: 223]، وعلى حُصولِ الشَّيءِ في النَّفْسِ كأَنَّ مُلقيًا ألقاهُ، أَي: مِنْ غير سَبْقِ تهيُّؤ: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [المائدة: 64][8]، والمُرادُ بالإلقاء في الآية: طرحُ الشَّيء حيثُ تَلقاه، أي: فليطرحه ماءُ النَّهر إلى الشَّاطئ.

5) ﴿بِٱلسَّاحِلِ﴾: أصلُ الكلمة مِنْ سَحَلَ الحَديد، أي: بَرَدَهُ وقَشَرَهُ، والسُّحالَةُ: البُرادَةُ[9]، والسَّاحِل: شاطئُ البَحْر، وقيل: سُمّي ساحِلًا لِأَن الماء يَسْحَلُه، أَي: يَقْشِرُه إذا عَلاهُ فهوَ فاعِلٌ مَعْناهُ مفْعول، وحَقيقَته أَنَّه ذو ساحِلٍ منَ الماء، إذا ارْتَفع المَدُّ ثمَّ جَزَر فجَرَف ما مرَّ عليْه[10]، وقد ساحَلَ القومُ، إذا أخذوا على السَّاحِلِ[11]، والمُرادُ بالسَّاحِلِ في الآيةِ: الشَّاطِئ.

6) ﴿عَدُوٌّ﴾: أَصْلُ الكَلِمَةِ مِنَ التَّعَدّي، وهو: مُجاوَزَةُ الحَدِّ، يُقالُ: تَعَدَّى النَّهْرَ، أَيْ:

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (يمم)، والزّجّاج، معاني القرآن: 3/ 370.
(2) الخليل، العين: (يم).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (يم).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (يمم).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لقي).
(6) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (لقي).
(7) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، والزّبيديّ، تاج العروس: (لقى).
(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 4/ 123.
(9) الرّاغب، المفردات: (سحل).
(10) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (سحل).
(11) الجوهريّ، الصّحاح، وابن سيده، المحكم: (سحل).

تَجاوَزَهُ[1]، والعَدوُّ: خِلافُ الصَّديقِ، وهو المُبْغِضُ، مُشْتَقٌّ مِنْ عَدا عليْه يَعْدو بِمَعْنَى وثَبَ؛ لِأَنَّ المُبْغِضَ يَثِبُ على المَبْغوضِ؛ ليَنْتَقِمَ مِنْهُ ووَزْنُهُ فعولٌ[2]، والعَداوَةُ: إرادَةُ السّوءِ لِمَن تُبْغِضُهُ وتَكْرَهُهُ، والعُدْوانُ: الظُّلْمُ، يُقال: عَدا فُلانٌ على فُلانٍ، يَعْدو عليه، عَدْوًا: إذا ظَلَمَهُ، والرَّجُلُ العادي: الظَّالِمُ[3]، والمُرادُ بالـ﴿عَدُوٌّ﴾ في الآيةِ: المُبْغِضُ، وهو فِرْعَوْنُ، فهو عَدوُّ اللّه؛ لِأَنَّهُ انْتَحَلَ لِنَفْسِه الإلَهيَّةَ، وعَدوُّ موسَى تَقْديرًا في المُسْتَقْبَلِ[4].

7) ﴿مَحَبَّةً﴾: أصلُ المَحَبَّةِ: المَيْلُ إلى الشَّيْءِ السَّارِّ، وهي اسْمٌ للحُبِّ، وتُطلق المحبّة على إرادة ما تراه أو تظنّه خيرًا، وهي على ثلاثة أوجه: محبّةِ لَذّةٍ كمحبّة الرّجل للمرأة، ومحبّةِ نفعٍ كمحبّة شيء يُنْتَفَع به، ومحبّةِ فضلٍ كمحبّة أهل العِلْم بعضِهم لبعض[5]، والحُبُّ: الوِدادُ، ونَقيضُه: البُغْض، يُقالُ: تَحَبَّبَ إليه، أيْ: تَوَدَّدَ إليه[6].

8) ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾: (صنع) أَصْلٌ صَحيحٌ واحِدٌ، وهو عَمَلُ الشَّيْءِ صُنْعًا، وامرَأَةٌ صَناعٌ ورَجُلٌ صَنَعٌ، إذا كانا حاذِقَيْنِ فيما يَصْنَعانِه[7]، والصُّنْعُ بالضَّمِّ: مصدر قولِكَ: صَنَعَ إليه معروفًا، وصَنَعَ به صَنيعًا قبيحًا، أي: فعل، والصِّناعَةُ: حِرْفَةُ الصَّانِعِ، وعملُه الصَّنْعَةُ[8]، قالَ الرَّاغِبُ: الصُّنْعُ إجادَةُ الفِعْلِ، فكُلُّ صُنْعٍ فِعْلٌ، ولَيْسَ كُلُّ فِعْلٍ صُنْعًا، قالَ تَعالَى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾ [هود: 38]، ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: 80][9]، وحقيقة الصُّنْعِ في الآية: مُسْتَعارٌ لِلتَّرْبِيَةِ والتَّنْمِيَةِ، تَشْبيهًا لِذَلِكَ بِصُنْعِ شَيْءٍ مَصْنوعٍ، ومِنْهُ يُقالُ لِمَنْ أَنْعَمَ عليْه أَحَدٌ نِعْمَةً عَظيمَةً: هوَ صَنيعَةُ فُلانٍ[10].

9) ﴿عَيْنِى﴾: (عين) أَصْلٌ واحِدٌ صَحيحٌ، يَدُلُّ على عُضْوٍ به يُبْصَرُ ويُنْظَرُ، ثُمَّ يُشْتَقُّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عدو).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 620.
(3) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، والمناويّ، التّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 238.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 217.
(5) الرّاغب، المفردات: (حبب).
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن سيده، المحكم، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (حبب).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صنع).
(8) الجوهريّ، الصّحاح: (صنع).
(9) الرّاغب، المفردات: (صنع).
(10) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 218.

منه، قالَ الخليلُ: العَيْنُ النَّاظِرَةُ لكُلِّ ذي بَصَرٍ، والعَينُ تُجْمَعُ على أَعْيُنٍ وعُيونٍ وأَعْيانٍ[1]، وعَيْنُ الشَّيْءِ نَفْسُهُ، يُقال: أَخَذْتُ مالي بِعَيْنِه، أي: نَفْسَ مالي، وتأتي بِمعنى المالِ العَتيدِ الحاضِرِ، يُقال: اشْتَرَيْتُ عَيْنًا بِعَيْنٍ، أيْ: حاضِرًا بِحاضِرٍ[2]، ويُستعار لفظ العَيْن لمعانٍ هي موجودةٌ في الجارحة، والمُرادُ بالعَيْنِ في الآيةِ: مَجازٌ في المُراعاةِ والمُراقَبَةِ، ومثلُه قوله تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: 37].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

معجزة نجاة موسى الرَّضيع، مِنْ بطش فرعون المُريع

في هذه الآية يُبيّن الحقُّ سبحانه ما أوحاه إلى أُمِّ موسى بإلقاء رضيعها في الصُّندوقِ، وأن تطرحَه في نهرِ النّيلِ، وبأمرِنا وقُدرتِنا يُلقيه النّيلُ على الشَّاطئِ، فيأخُذُه فِرعَونُ الَّذي هو عدوّي وعَدوُّه، ويفرحُ به فرعونُ بما وضع اللّهُ له منَ القبول بينَ النَّاسِ، فصار بذلك مَحبوبًا بينهم، وتغذَّى وتربَّى في قصر فِرعَون على ما أُريدُ بمَرأًى منّي، وتحتَ حِفْظي ورعايتي، وأيُّ نظَرٍ وكفالةٍ أجَلُّ وأكمَل، مِن ولاية البَرِّ الرَّحيم، القادر على إيصال مصالحِ عبده، ودفعِ المضارِّ عنه؟![3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سِرّ فصل جملة ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ﴾ عمَّا قبلها:

جملة التّفسير، مبيِّنة عنِ المعنى الأثير

فُصِلت جملة: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ﴾ عمَّا قبلها، لما في هذه الجملة المفصولة من (كمال الاتصال) مع جملة: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ﴾؛ لأنّها تفسير لها وبيان؛ "لِأَنَّ الوَحْيَ فيه مَعْنَى القَوْلِ"[4]، أو أنّها تَفْسير لـ ﴿يُوحَىٰٓ﴾[5].

(1) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (عين).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيدي، تاج العروس: (عين).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 16/ 58، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 44، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 284، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 504.
(4) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 430.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 216.

دلالة التّعبير بـ﴿أَنِ﴾ في السّياق المحكم:

احتمال الجملة لأكثر من تّأويل، مِـــن فـصـيـح البيان

﴿أَنِ﴾ في قوله: ﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ﴾ تفسيريّة، "وجُملَةُ ﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ﴾ مُفَسِّرَةٌ؛ لِأَنَّ الوَحْيَ فيه مَعْنَى القَوْلِ، أَوْ مَصْدَرِيَّةٌ على تَقْدِيرِ: بِأَنِ اقْذِفيه"[1]، أي: أوحينا إليها (بقذفه)، فهو مصدر مُؤوَّل.

سِرّ التّعبير بالفعل ﴿ٱقۡذِفِيهِ﴾، دون غيره:

التّلميح إلى المعاناة النّفسيّة والقلق، عند أُمّ موسى الرّضيع

أوثِر التّعبيرُ بالقذف دون غيره، كالإلقاء والوضع؛ لما في القذف مِن معنى البُعد، وأصل القذف هو الرّمي البعيد، وأُطْلِقَ هُنا على الوَضْعِ والطَّرحِ في التَّابوتِ، أَي: اطْرَحيه وضعيه في التَّابوت[2]، ولأنّ القذف يقال للإلقاء والوضع، كقوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ﴾ [الحشر: 2]، وفي هذا دليلٌ على وجود فرقٍ بينَ القذف وبين الإلقاء والوضع؛ فالإلقاء مستلزمٌ للوضع دون العكس، وبذلك يكون الإلقاء أخصّ والقذف أعمّ، كما أنّ التّعبير بلفظ (القذف) يُصوّر المعاناةَ النّفسيّة التّي كانت تعتلج في قلب الأُمّ الرّؤوم، فكان التّردُّد الشّديد، ثمّ انتهى التّردّد بالإلقاء، وكأنّها تقذف قطعةً منها في تابوتٍ مغلق، لا تدري بالحسّ ما اللّهُ فاعلٌ به[3]، ثمّ إنّ القذف لاستلزامه للوضع قد يُطلق عليه، وإنْ لم يكن الموضوع محسوسًا[4]، ومنَ التّعبير به في غير المحسوس قولُه تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ﴾ [الحشر: 2]، وهو خلاف معنى القذف في قوله: ﴿فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾؛ فإنّه بمعنى الإلقاء والرّمي البعيد على سبيل الحقيقة.

دلالة الأمر في قوله: ﴿ٱقۡذِفِيهِ﴾:

أمَـرَ أمَّ موسى دون ارتـيـاب، بقذف وليدها في العباب

الأمر في قوله: ﴿ٱقۡذِفِيهِ﴾ أمرُ إيجاب، بقرينة قوله: ﴿أَوۡحَيۡنَآ﴾ فالوحي له سلطان، وما يأتي عن طريقه يكون منَ الأهميّة ولُزوم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 216، والشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 430.
(2) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 430.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4724.
(4) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 6/ 199.

الاتّباع، بحيثُ لا يخالَف، ولذا فعلت ما أملاه عليها سلطانُ الوحي، مع أنّ الأمر بالقذف يُؤذن بالهَلاك، ومع ذلك لم تُخالِف ولم تَتَردّد، ولا حَكَمت عليها البَشَريَّة بأَن هذا من أَخطر الأَشياءِ، فدلَّ على أَنَّ الوحي أَقْوَى سلطانًا في نفس الموحَى إِليه مِن طَبْعه الذي هو عين نَفْسِه[1].

سِرّ الإضمار في قوله: ﴿ٱقْذِفِيهِ﴾، دون الإظهار:

العِلْمُ بالمقصود بالإضمار، يُغني عن الإظهار

أوثِرَ التّعبيرُ بالإضمار في قوله تعالى: ﴿ٱقْذِفِيهِ﴾ دون الإظهار، فلم يقل: (اقذفي موسى)؛ لأنّه سبق ذِكْره قبل ذلك؛ فكان التّعبير بالإضمار هو المناسب؛ لأنّه لا يلزم العدولُ عنِ الضّمير إلى الإظهار إلَّا إذا ترتّب على ذلك فائدةٌ جديدة.

دلالة التّعبير بالظّرفية:

تشريف التَّابوت، بأن يكون وعاءً لموسى عليه السلام

عبَّر بالظّرفيّة في قوله تعالى: ﴿فِى ٱلتَّابُوتِ﴾؛ للدّلالة على أنّها أُمِرت بإيداعه داخلَ التَّابوت، بحيثُ يكون التَّابوت وعاءً له، يحافظ عليه ممَّا يُكدّر سلامتَه من حرارة الشّمس، والرّيح الّتي قد تؤدّي إلى قلب التَّابوت، ولا يتأتّى هذا المعنى من استعمال حرف (على)؛ لذلك كان ما فعلته أمّ موسى بإلهام اللّه لها، هو التّصرّف الأمثل الّذي لا يلفت الأنظار إليه عمومًا، بخلاف وضْعِه فوقَ التَّابوت؛ فيكون أمره ظاهرًا ممَّا يعرِّضه للخطر، وأيضًا كي لا يلفتَ نظرَ فرعون إلى موسى عليه السلام.

بلاغة الاستعارة في قوله: ﴿ٱقْذِفِيهِ﴾:

إبراز المعنى المعقول، بصورة المحسوس، منَ البيان الفصيح

تظهر بلاغة الاستعارة، في قوله تعالى: ﴿ٱقْذِفِيهِ﴾، حيثُ أُطلِق القذفُ في الآية على الوضع في التَّابوت؛ "تَمثيلًا لِهَيْئَةِ المُخْفي عَمَلَهُ، فهوَ يُسْرِعُ وضْعَهُ مِنْ يَدِه كَهَيْئَةِ مَنْ يَقْذِفُ حَجَرًا ونَحْوَهُ"[2].

(1) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 5/ 178.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 216.

سِرّ التّعبير بالتّابوت دون غيره:

التَّابوت صندوقٌ ثـابـتٌ محـكـمُ الإغلاق، يحفظ ما فيه بيقين

اختير التَّابوتُ مكانًا لحفظ موسى ﷺ؛ لكون التَّابوت صندوقًا محكمًا مُهيّئًا للحفظ بإحكام وثبات[1]، وفيه - أيضًا - بشارةٌ برجوع موسى ﷺ لأُمّه؛ لأنّ كلمة ﴿ٱلتَّابُوتِ﴾ أصلُها منَ التّوب، وهو الرّجوع؛ وللدّلالة على مكانة موسى ﷺ وعلوّ قدره؛ لأنّ التَّابوت هو الصّندوق الّذي يحفظ فيه الشّيء النّفيس الّذي يَعِزّ قدرُه.

دلالة (أل) في لفظ ﴿ٱلتَّابُوتِ﴾:

في الـلّـفـظ ما يجعل لتابوت مـــــوسى، خـصـوصـيّـةً وتميّزًا

(أل) هنا تعريفيَّة، ويكون التَّابوت على ذلك عُرِّف بموسى، فصار هذا التَّابوت معروفًا بتابوت موسى ﷺ؛ فهو ليس ككلّ التّوابيت، ولو أراد القرآنُ جنس التّوابيت لقال: (أن اقذفيه في تابوت)؛ لكن القرآن عدل عن ذلك إلى ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ﴾، وذهب البعض إلى أنّ (أل) في التَّابوت للجنس، فالمراد: أيّ تابوتٍ مُحكمٍ يصلح للحفظ، فإنّه يدخل في عموم لفظه، وليس المراد تابوتًا بعينه، وما ذُكِر قبلَ ذلك أَوْلى.

دلالة الفاء في قوله: ﴿فَٱقْذِفِيهِ﴾:

بيان أنّ الأمر في السّياق، جاء للمبادرة والفوريّة

الفاء في قوله: ﴿فَٱقْذِفِيهِ﴾ عاطفة، وهي على بابها منَ التّرتيب والتّعقيب، والمعنى: (اقذفيه في اليمّ فورًا بعدَ وضعه في التَّابوت من غير تراخٍ)، وفي هذا تصويرٌ لحالة الأمّ التي تبحث عنِ النّجاة لولدها الحبيب، ولا سبيلَ أمامَها إلَّا بما ألهمَها اللّهُ إيَّاه، بقَذْفِه في التَّابوت، وقَذْفِه في اليمّ، بسرعةٍ دون تأخير.

سِرّ تكرار الأمر بالقذف:

غاية التّكرار، بيانُ تعدّدِ المُراد، وتغايرِ معناه المستفاد

كُرّر لفظُ (القذف) في الآية، فقال تعالى: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾؛ لاختلاف معناه، فإذا كان السَّابق بمعنى الوضع، فإنّه في الثَّانية بمعنى الإلقاء البعيد، فيكون تعبيرًا بحقيقة معناه؛

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (تبت).

ذلك أنّ القذف الأوّل في قوله: ﴿ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ﴾ يعود على موسى عليه السلام؛ أمَّا في قوله: ﴿فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ فيحتمل أن يكون لموسى، وأن يكون للتَّابوت، وفي كلا القَذْفين قلبُ أُمّ موسى معلّقٌ به، وإن كان الأولى أن يكون في المرَّتين لموسى عليه السلام؛ لأنّه المَعنيُّ به.

سِرّ اختلاف متعلّق القذف في الآية:

اختلاف القذفين؛ لاختلافهما وسيلةً وغايةً

اختلف متعلّق القذف في الآية، حيثُ قال أوّلًا: ﴿ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ﴾، ثمّ قال ثانيًا: ﴿فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾؛ لكونهما قذفين مختلفين وسيلةً وغايةً، فالأوّل كان للحفظ وطمأنة أمّ موسى، والثّاني ليجريَ في اليمّ؛ تنفيذًا لمراد الله فيه، بوصوله إلى قصر فرعون.

دلالة التّعبير بلفظ ﴿ٱلۡيَمِّ﴾:

اليمّ المقصود، هو نهر النّيل المشهود

أوثِر التّعبير باليمّ؛ لأنّه يطلق في اللّغة لما كان ماؤه ملحًا، وللنّهر ذي الماء العذب بخلاف البحر، كما أنّه يُعبّر به في اللّغة عنِ السّعة والانبساط، وأكثر ما يُستعمل في الماء المالح خاصّةً دون العذب، وعلى ذلك: فاليمّ يختلف عن البحر من حيثُ السّعةُ والانبساط، فهو أقلّ، وهو المناسب لسياق القصّة؛ لأنّ فرعون كان يباهي بنهر النّيل، وعلى هذا يكون هو المراد في الآية.

دلالة تعدّد مراحلِ قذف موسى عليه السلام:

شدّة اليقين في الله تعالى، علاجٌ لشِدّة المعاناة النّفسيّة

دلّ التّعبير المُتكرّر بلفظ القذف في مرحلتي الإلقاء في التَّابوت، ثمّ إلقاءِ التَّابوت في اليمّ، على مدى المعاناة النّفسيّة الّتي عاشتها أمُّ موسى عليه السلام، وهي تجاهد فطرتَها بإلقاء وليدها في اليمّ، بعدَ أن قذفت به في صندوقٍ خشبيّ، ولولا أنّها كانت على يقينٍ ممَّا تفعله، بأنّه إيحاءٌ لها بأن تفعل - ما فعلت؛ لأنّه لا يتصوَّر أحدٌ أنّه يمكن لأمٍّ أن تُقْدِم على ما قامت به، فقد ربط اللّهُ به على قلبها، فسلّمت له أمرَها، كما قال سبحانه في تصوير هذا المشهد: ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ

مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ [القصص: 10].

دلالة الفاء في قوله: ﴿فَلۡيُلۡقِهِ﴾ دون (ثُمَّ):

سرعةُ استجابة اليمّ لمُراد الله، دليلٌ على مُطلق قدرته

دلّ التّعبير بالفاء في قوله: ﴿فَلۡيُلۡقِهِ﴾ دون (ثم) على سُرعة استجابة اليمّ لإلقاء التَّابوت بموسى عليه السلام بالسَّاحل، بحيثُ لم تكن هنالك مهلةٌ تسمح بتراخي وتأخّر حدوثِ هذا الإلقاء؛ فهو جندٌ مِن جنود الله في تنفيذ هذه المهمّة؛ فما كان له إلَّا سرعةُ الاستجابة، وكمالُ الانقياد.

دلالة اللَّام في قوله: ﴿فَلۡيُلۡقِهِ﴾:

بيانُ أنّ الأمر كونيٌّ، وليس تكليفيًّا

اللَّام في قوله: "﴿فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ هي لام الأمر؛ لأنّه لمَّا كان إلقاءُ البحر إيَّاه إلى السَّاحل أمرًا واجبَ الحصول؛ لتعلّق الإرادة به، جعل البحرَ كأنّه ذو تمييزٍ مطيعٌ أمرَه بذلك، وأخرج الجواب مخرجَ الأمر"(1)، حيثُ قال: ﴿فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ﴾، ولم يقل: (يُلْقِهْ) على لفظ المضارع المجزوم، جوابًا للأمر على ما هو مقتضى الظَّاهر؛ لأنّ البحر جماد، ليس ممَّا يُخاطَب بالأمر والنّهي خطاب ذوي العقل والتّمييز، لكنّ الأسلوب جعله مثلَهم في وجوب حصول المطلوب منه، وذلك بجعله من ذوي العقول على سبيل الاستعارة المكنيّة والتّخييليّة؛ حيثُ شبّه اليمّ في العِلْم بمأمورٍ ذي تمييز، أمره آمرٌ مُطاعٌ بالإلقاء، مِن حيثُ كونُ إلقاءِ البحر إيَّاه إلى السَّاحل أمرًا واجبَ الحصول، كحصول المأمور به منَ المأمور المُطيع، وجعلَ أمرَ اليمّ بقوله: ﴿فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ﴾ قرينةَ التّشبيه المُضمر، وفائدةُ إخراج الكلام على هذه الصّورة: التّأكيد والمبالغةُ في حصول الإلقاء(2)،

(1) شيخ زاده، حاشية زاده على البيضاويّ: 5/ 614.

(2) شيخ زاده، حاشية زاده على البيضاويّ: 5/ 614، والجمل، حاشية الجمل على الجلالين: 5/ 68، وحاشية ابن التّمجيد على هامش حاشية القونويّ: 12/ 343.

وقيل: إنّ قوله: ﴿فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ﴾ وإن كان أمرًا صورةً إلّا أنّ معناه الخبر، أي: إن تفعلي ما أُمِرتِ به يُلْقِه اليمّ بالسَّاحل؛ لتَعَلّق إرادتي بذلك.

سِرّ التّعبير بالإلقاء دون غيره:

الإلقاء اسمٌ لكلّ طرح، لكنّه هنا معجزةٌ باهرة

عبَّر بالإلقاء دون القذف؛ لدلالته على المعنى المراد، وهو طرحُ التَّابوت وفيه موسى عليه السلام إلى السَّاحل، وهو الشَّاطئ حيثُ يكون فرعون، فالمناسبُ هنا التّعبيرُ بالإلقاء دونَ القذف؛ لأنّ القذف فيه شِدّةٌ وإبعادٌ، بخلاف الإلقاء؛ فهو طرحُ الشّيء حيثُ تلقاه، أي: تراه، وكأنّ اللّفظ يُعطي ضمانةً لأمّ موسى بأنّ التَّابوت في اليمّ في سيره أمامَ عينيها، ويؤكّد ذلك أنّها طلبت مِن أُخته تتبّع أثرِه، وممَّا يُذْكَر في سِرّ التّعبير بالإلقاء دون القذف؛ أنّ القذف يكون مِن أعلى لأسفل، ولأنّ الإلقاء لم يكن بمعاناةٍ منَ الأمّ، بل كان برحمةٍ منَ الله تعالى[1].

دلالة الإضمار دون الإظهار، عن موسى عليه السلام:

حضوره الذّهنيّ لدى أُمّه، سببٌ لعاطفة الأُمومة الحانية

عبَّر عن موسى عليه السلام بالإضمار دون الإظهار، فقال تعالى: ﴿فَلۡيُلۡقِهِ﴾؛ لكونه معلومًا و"حاضِرًا في ذِهْنِ أُمِّه الموحَى إلَيْها"[2]، فالضّمائر السَّابقة كلّها له[3]، ولأنّ الضّمائر في الآية تَعدّد المرادُ بها؛ فالضّمير الأوّل في ﴿ٱقۡذِفِيهِ﴾ عائدٌ على موسى عليه السلام، وفي الثَّاني عائدٌ على التَّابوت، ولا إشكال في هذا؛ لأنّ الغرض مَنْ فيه وهو موسى عليه السلام، فما قيمةُ التَّابوت بمنأًى عمّن فيه؟ ولذا فـ"الإلقاء المُتعلّق بالظَّرْف مستلزمٌ لإلقاء ما فيه؛ حتّى يترتّب عليه حكمُ الإلقاء، مثل لزوم الضّمان"[4]، وعلى هذا، فالضّمائر جميعها

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4724.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 216.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 6/ 15.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 344.

لموسى ﷺ، والقولُ بخلافه يؤدّي إلى تفرّق الضّمائر، الّذي يؤدّي بدوره إلى الإخلال بالنّظم[1].

سِرّ تكرار لفظ ﴿ٱلۡيَمِّ﴾:

إبراز دورِ اليمّ في قصّة موسى ﷺ، مفيدٌ في البيان عنِ المراد

كُرِّر لفظُ اليمّ، مُظهرًا في الثّانية وكان حقّه الإضمار؛ إبرازًا لكونه جاهزًا لاستقبال التّابوت من أجل تنفيذ الأمر الإلهيّ له، بإلقائه على السّاحل، وذلك لأنّه لمّا كانت سلامة موسى ﷺ معرّضةً للخطر، بسبب الأمواج، وشِدّة الرّيح التّي قد تقلبُ التّابوت، أو تُعرّضُه للخطر، كان توجيهُ الأمر لليمّ بأن يُحافظ عليه مِن كلّ ما يُعرّض سلامتَه للخطر، بل ويصل به إلى محلّ الأمان والسّلامة.

وقد يقال: إنّه كرّره لكون كلّ جملة منَ الجملتين مستقلّةً عنِ الأخرى، بحيثُ تحمل كلٌّ منهما من خفايا الحِكمة الإلَهيّة ما يَخصّها، وما لا بدّ منه منَ التّسليم، معَ اليقين في سلامة النّتائج.

بلاغة الصّورة المجازيّة، في إسناد الإلقاء إلى اليمّ:

من فصيح التّعبير استعمالُ أسلوبِ التّصوير

أُسنِد الإلقاءُ إلى اليمّ في قوله تعالى: ﴿فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾، على طريق المجاز؛ لأنّه عومِل معاملةَ مَن يُميِّز؛ لذلك تعدّد المرادُ مِن هذا المجاز؛ فمنهم مَن قال: إنّه مجازٌ عقليٌّ في إسناد الإلقاء إلى اليمّ؛ لأنّ إلقاء التّابوت وفيه موسى ﷺ هو منَ اللّه تعالى، وما اليمّ إلّا منقادٌ لأمره سبحانه، ومنهم مَن قال: إنّه مِن باب الاستعارة المَكنيّة، حيثُ شَبَّه اليمّ في العلم، بمأمورٍ مُنقادٍ في الامتثال، وهذه اسْتعارَةٌ بالكناية، وأثبتَ له الأمرَ وهو تخييليٌّ، ومنهم مَن قال: بالاستعارة التّصريحيّة التّبعيّة في الفعل ﴿فَلۡيُلۡقِهِ﴾[2].

دلالة (أل)، في لفظ ﴿ٱلۡيَمِّ﴾:

(أل) في اليمّ للعهد، والمعهود هو بحرُ مصرَ الّذي هو نهر النّيل.

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 63، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 343.
(2) الاحتمال الثّاني والثّالث في: القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 343.

دلالة الباء في قوله: ﴿بِٱلسَّاحِلِ﴾:

بيان مكان النّجاة وجهته، موحٍ بقوّة الله وقُدرته

الجارّ والمجرور ﴿بِٱلسَّاحِلِ﴾ متعلِّق بمحذوفٍ، أي: ملتبسًا بالسَّاحل، أو أنَّ الباءَ ظرفيةٌ بمعنى (في)، وأَنّ التعلُّقَ بنفسِ الفعل[1].

سِرّ التّعبير بلفظ ﴿بِٱلسَّاحِلِ﴾:

تصوير حالة انبعاث الموج، وتدفّق الماء في الأوج

عبّر القرآنُ الكريم بـ﴿بِٱلسَّاحِلِ﴾ دونَ الشَّاطىء في قوله تعالى: ﴿فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾، وإن كان السَّاحل يُطلقه البعضُ على الشَّاطىء؛ لأنّ السَّاحل مأخوذ مِن سَحَلَ الحديدَ، أي: بَرَدَه وقَشَره، وهو فاعلٌ بمعنى مفعول؛ لأنّ الماء يَسْحَلُه، أي: يقشره، وقيل: هو على ظاهره، على معنى أنّه يسحل الماءَ، أي: يُفرّقه ويُضيّعه[2]، وفيه دلالةٌ على انبعاث الموج نتيجةَ تدفّق تيارِ الماء من هذه الناحية، أمَّا لفظُ الشَّاطئ فهو الجانب[3]، دونما تعبيرٍ عن سحله وتقشيره، ومن ثَمّ لا تعبير عنِ انبعاث الموج من جهته، وقيل: ليس المرادُ بالسَّاحل نفسَ الشَّاطئ، بل ما يُقابِل الوسطَ، وهو ما يلي السَّاحلَ منَ البحر، بحيثُ يجري ماؤه إلى نهر فرعون[4]، وهذا القولُ مبنيٌّ على احتمال أنّ فرعون قدِ اتّخذ لنفسه مجرًى مائيًّا خاصًّا مُستمدًّا من نهر النّيل، وأنّ التَّابوت قد مرَّ فيه حالَ جلوسِه مع زوجته؛ للتّنزّه في بستانه ونهره الخاصّ، وعلى هذا تكون (أل) في السَّاحل للعهد، "والمُرادُ ساحِلٌ مَعْهودٌ، وهو الَّذي يَقْصِدُهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِلسِّباحَةِ"[5].

سِرّ تعدّد الأفعال، مع اتّحاد الضّمير:

إبرازُ عُلوّ قدرِ العائدِ إليه الضّميرُ في السّياق

يُفيد تعدّدُ الأفعال: ﴿فَٱقۡذِفِيهِ﴾، ﴿فَلۡيُلۡقِهِ﴾ مع وحدة الضّمير المنصوب، على كون المراد بها واحدًا، وهو موسى ﷺ، مع أنّ البعض

(1) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 8/ 36.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 502.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شطأ).
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 15.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 216.

ذهب إلى رجوع بعض الضّمائر إلى التَّابوت، باعتبار أنّه أقربُ مذكور، وهو أولى بعود الضّمير إليه، وهذا ينافي فصاحةَ النّظم القرآنيّ، كما قال الزّمخشريّ: "والضّمائر كلّها راجعةٌ إلى موسى، ورجوعُ بعضِها إليه وبعضِها إلى التَّابوت فيه هجنة، لما يؤدّي إليه من تنافر النّظم، فإن قلتَ: المقذوف في البحر هو التَّابوت، وكذلك المُلْقى إلى السَّاحل، قلتُ: ما ضرَّكَ لو قلتَ: المقذوفُ والمُلْقى هو موسى في جوف التَّابوت، حتّى لا تُفرِّق الضّمائرَ، فيتنافرَ عليك النّظمُ الّذي هو أمُّ إعجاز القرآن، والقانونُ الّذي وقع عليه التّحدّي، ومراعاتُه أهمُّ ما يجب على المُفسِّر"[1]، ويؤكّد ذلك ما ذكره أبو حيَّان من اعتراضٍ أورده، ثمّ دفعَه بقوله: "ولقائلٍ أن يقولَ: إنّ الضّمير إذا كان صالحًا لأَن يعودَ على الأقربِ وعلى الأبعدِ، كان عودُه على الأقربِ راجحًا، وقد نَصَّ النّحويون على هذا، فعَوْدُه على التَّابوتِ في قولِه: ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ﴾ راجحٌ، والجواب: أنَّ أحدَهما إذا كان مُحَدَّثًا عنه والآخرُ فضلةً، كان عودُه على المُحَدَّثِ عنه أرجحَ، ولا يُلْتَفَتُ إلى القُرْبِ"[2].

دلالة جزم الفعل ﴿يَأْخُذْهُ﴾:

تصوير حالة الاستعداد للتّكفّل بالجنين لدى فرعون

جزم الفعل ﴿يَأْخُذْهُ﴾ لكونه جوابًا للأمر الكونيّ بالإلقاء[3] في قوله: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾؛ أي: اقذفيه في التَّابوت فيُلْقِه اليمُّ، فيأخذه عدوٌّ لي وعدوٌّ له؛ فكأنّ فرعون بهذا التّركيب الأمريّ ينتظر تنفيذه؛ فكان التّعبير بالجواب؛ تصويرًا لحالة الاستجابة عند فرعون.

سِرّ التّعبير بالأخذ دون غيره:

شدّة استئثار فرعون بموسى عليه السلام، وعدمُ التّفريط فيه

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بالأخذ دون غيره؛ لأنّه يدلّ على تناول

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 63.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 331.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 287، والشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 431.

الشّيء وحَوزه في الأثناء من غير تأخير[1]، بحيثُ يتّخذه الإنسانُ لنفسه ولا يفرّط فيه لغيره؛ لذلك كان في هذا التّعبير إشارةٌ إلى تصوير حالة السّعادة عند فرعونَ العدوِّ للّه ولموسى، فأخذَه وهو سعيدٌ به، وكأنّ هذه العداوةَ قد تُنوسيت، ولم يَعُد لها وجودٌ؛ لشِدّة إعجابه به عليه السلام، ويؤكّد ذلك ما قالته امرأةُ فرعونَ فيما قصّهُ القرآنُ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾ [القصص: 9].

سِرّ تقديم المفعول على الفاعل:

بيان أنّ تقديم ما حقّه التّأخير، غايتُه الاهتمامُ بالمُقدَّم

قُدِّم المفعولُ، وهو ضمير الهاء العائد على موسى عليه السلام في قوله: ﴿يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ﴾ على الفاعل؛ اهتمامًا به، فهو محور القِصّة، ومحلُّ الحديث، ولإبراز الإرادة الإلَهيّة في تسخير العدوّ؛ للحفاظ على مُراد اللّه تعالى.

سِرّ التّعبير بقوله: ﴿عَدُوّٞ لِّي﴾:

ادّعاء فرعون الأُلوهيّة والرُّبوبيّة، جحودٌ للفطرة وإنكارٌ للميثاق

وصف القرآنُ الكريم فرعونَ بأنّه عدوٌ للّه في قوله: ﴿عَدُوّٞ لِّي﴾؛ لأنّه خلع على نفسه وصف الأُلوهيّة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: 38]، وكذا الرّبوبيّة، فقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾ [النّازعات: 24]، وهذا مِن فرعون جحودٌ للفطرة وللميثاق الّذي أخذه ربّنا على بني آدمَ في عالم الأصلاب: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۛ﴾ [الأعراف: 172].

سِرّ التّعبير بالمفرد ﴿عَدُوّٞ﴾:

قَصْرُ العداوةِ على فرعون فقط، باعتباره عدوًّا شرسًا

عبّر القرآنُ الكريم بلفظ ﴿عَدُوّٞ﴾ مفردًا، ولم يأتِ به جمعًا؛ لأنّ المراد به فرعونُ فقط، كي لا تدخلَ معه امرأتُه، فهي ليست عدوًّا، بل صارت مؤمنةً، وكانت مُحبّةً لموسى عليه السلام، ولا يُتوهّم منَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (أخذ).

التّعبير بالإفراد عدمُ دخولِ حاشية فرعونَ في هذه العداوة، بل هم داخلون، وإن كان فرعون هو الأساس، وكلُّ مَن عادى اللّهَ من أتباعه فإنَّهم عادَوهُ بسببه وبأمرٍ منه، كما قال سبحانه: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٥٤﴾ [الزّخرف: 54].

دلالة التّعبير بقوله: ﴿عَدُوٌّ لِّي﴾:

تقبيح عداوة فرعون وتبشيعها؛ لكونه عدوًّا لله ولرسوله

دلّ التّعبير بقوله: ﴿عَدُوٌّ لِّي﴾ على قُبح عداوته؛ إذ نازع اللّهَ تعالى الأُلوهيّة والرُّبوبيّة، لدرجة أنّه أنكر وجود الإله سبحانه، وقال لرعيّته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [الزخرف: 54]، أي: في حُكمي، وفي هذا إظهارٌ لطغيان فرعون في عداوته للّه ربّ العالمين؛ حيثُ تعدّى الظّلمَ والجبروت منَ البشر إلى ربّ البشر، بادّعائه الألوهيّة.

سِرّ التّعبير بالواو في قوله: ﴿وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾:

العطف بالواو قصدًا للجمع والإشراك

عُطِفَ بين جُملتي: ﴿عَدُوٌّ لِّي﴾، ﴿وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ بالواو؛ لقصد إشراكه وجمعه بين العداوتين؛ عداوةِ اللّه تعالى، وعداوةِ موسى عليه السلام، وفي هذا دليلٌ على إنكاره للأُلوهيّة وللنّبوّة والرّسالة، ممَّا يَلزم منه وجودُ العداوة.

سِرّ تعدّد ذِكْر العداوة في: ﴿عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾:

تكرُّر الذّكر بغرض المبالغة، من فصيح التّعبير

جاء التّعبير القرآنيّ بتكرار لفظ ﴿عَدُوٌّ﴾ في قوله تعالى: ﴿عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾، ولم يكتف بذِكره مرّةً واحدة، أو بالجمع بينهما، بأن يقول: (يَأْخُذْهُ عَدوٌّ لي ولَهُ)، ولكنّه جاء مُكرّرًا للمبالغة[1]، ووجه المُبالَغَة في التّكرير كونُه يدلُّ على أنّ عداوته كثيرةٌ متعلّقةٌ بكلٍّ منَ الرّب وموسَى.

وذهب البعضُ إلى أنّه لا تكرار، وأنّ الأوّل باعتبار الواقع، والثّاني باعتبار المتوقّع[2]؛ لأنّه صفةٌ مشبّهةٌ دالّةٌ على الثّبوت الشّامل للواقع

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 15، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 344.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 344.

في زعمه للأُلوهيّة والرّبوبيّة، والمُتوقّع في عداوته لموسى عليه السلام[1]، يُؤكّد ذلك أنّ فرعون عادى بني إسرائيل بالذّبح لذُكورهم واستحياءِ نسائهم؛ لأجل موسى عليه السلام، حيثُ أخبره الكهنةُ بأنّه يولد مولودٌ يُهدِّد مُلكَه مستقبلًا، وفي هذا التّعبير إشارةٌ إلى أنّ فرعون (موسى عليه السلام) سيعيش إلى أن يُرسِل اللّهُ موسى عليه السلام ويدعوه إلى الوحدانيّة وتَركِ مزاعم الأُلوهيّة التي ادّعاها، وعند ذلك تكون عداوةُ فرعون ظاهرةً جليّةً في محاربة موسى عليه السلام؛ بسبب دعوته إلى التّوحيد وإرسال بني إسرائيل وعدم تعذيبهم، وفيه - أيضًا - إشارةٌ إلى إخبار موسى عليه السلام بمستقبل دعوته مع فرعون، ومدى العناء والمَشقّة الّتي يتحمّلها موسى لإبلاغ دعوة ربّه.

دلالة الواو في قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾:

تفصيل ذِكْر منن الله الفِخام، على موسى عليه السلام

الواو في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾، عطفت هذه الجملة على جُملَةِ ﴿أَوْحَيْنَآ﴾[2]، وذلك باعتبار الاشتراك في تفصيل المنن؛ فهذه الجملة المظهر الثّاني مِن مِنن الله تعالى على موسى عليه السلام.

سِرّ التّعبير بالإلقاء في قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾:

الدّلالة على شِدّة تعلّق المحبّة به

آثَر القرآنُ الكريم التّعبير بالإلقاء في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾، إشارةً إلى العناية والرّعاية الّتي أُحيط بهما موسى عليه السلام من قِبَل ربّه ومولاه؛ إذِ الإلقاء "طرحُ الشَّيْء حَيْثُ تَلقاهُ، أَي: تراهُ"[3]، ولأنّ إلْقاءَ المَحَبَّةِ مَجازٌ في تَعَلُّقِ المُحِبَّةِ به، أي: خَلْقُ المَحَبَّةِ في قَلْبِ المُحِبِّ بدونِ سَبَبٍ عاديٍّ، حَتَّى كَأَنَّهُ وُضِعَ بِاليَدِ لا مُقْتَضَى لَهُ في العادَةِ[4]، ولمَّا كان الأمر متعلّقًا بحبّ موسى من عدوّه، كان التّعبير بالإلقاء مناسبًا؛ لإبراز الحالة التي كان عليها موسى

(1) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 6/ 199.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 217.
(3) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 481.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 217.

مِن حُبّ فرعونَ وامرأته، فأمرُ الحُبّ منهما كان قَدَرًا لِما ألقاه اللّهُ لموسى عليه السلام؛ فلا مجالَ إلَّا للاستجابة لهذا الحُبّ، وفي هذا خَرْقٌ للأسباب البشريّة.

دلالة التّعبير بالإلقاء ماضيًا:

في التّعبير بالإلقاء فعلًا ماضيًا ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾؛ دلالةٌ على تحقّق إلقاءِ محبّته في القلوب، وأنّ هذا الأمر قَدّره اللّهُ أزلًا؛ فلا مجالَ لتغييره ولو كان من عدوّه، بل كلّ الأسباب تُسَخَّر لتحقيقه، وهذا ما أكّده الواقعُ في موقف فرعون مع موسى عليه السلام.

ما قَدَّرَهُ اللهُ بالماضي، واقعٌ في علمه، وإن لم يَحِن أوانُه

دلالة التّعبير بتاء التّكلّم ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾:

عدلَ القرآنُ الكريم عنِ التّعبير بنون العظمة إلى تاء التّكلّم، في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾ ولم يقل: (أَلْقَيْنا)؛ إشعارًا بالرِّقة والرّفق في مخاطبته عليه السلام، دونَ نون العظمة (ألقينا)، التي يُلْمَح منها الهيبةُ والجلال، والمقامُ هنا مقامُ عطفٍ وإحسانٍ، فناسبَهُ الخطابُ بقوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾.

المقام تعطّفٌ، يناسبُه الضّمير المُعبّر عنِ الذّات المُفْرَدة

دلالة تعدّي الفعل ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾ بـ ﴿عَلَيْكَ﴾:

تعدّى الفعلُ ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾ بـ ﴿عَلَيْكَ﴾، وهي تُفيد الاستعلاء؛ تناغمًا وانسجامًا مع كون هذه المحبّة ملقاةً على موسى منَ العليّ الأعلى سبحانه، وهي محبّةٌ خارجةٌ عن حدود الأسباب الموقعة للمحبّة بين النّاس، كما يدلّ على ذلك ويؤكّده قوله: ﴿مِّنِّي﴾؛ وللدّلالة على أنّ هذه المحبّة تعلو كلَّ الأسباب التّي تأتي من عدوِّه، حيثُ ربَّاه في قصره، وغذاه بغذائه، ولا يتأتّى كلُّ ذلك إلَّا منِ استعلاء هذه المحبّة الّتي ألقاها اللّهُ على موسى عليه السلام.

المحبّة المُلقاة على موسى عليه السلام محضُ فضلٍ وإكرام

دلالة التّعبير بكاف الخطاب، في قوله: ﴿عَلَيْكَ﴾:

التّعبير بكاف الخطاب في قوله: ﴿عَلَيْكَ﴾ مُرادٌ بها موسى عليه السلام، وفي هذا إيماءٌ إلى كون هذه المحبّة الملقاة على موسى، كانت خاصّةً به دونَ غيره، فليس كلّ محبوبٍ منَ النّاس، يكون قد أُلقيت عليه

بيان أنّ مؤانسة الله لموسى عليه السلام، يعكسها تخصيصه بالمحبّة

هذه المحبّة منَ اللّه كما أُلقيت على موسى ﷺ؛ لأنّه كليمُ اللّه، فهو يخاطبُه ويكلّمُه، وهذا من خصوصياته ﷺ.

دلالة تقديم الجارّ والمجرور ﴿عَلَيْكَ﴾:

الـدّلالـة على الاختـصـاص والاهتمام، من بليغ الكلام

أفاد تقديمُ الجارِّ والمجرور ﴿عَلَيْكَ﴾ على المفعول ﴿مَحَبَّةً﴾؛ اهتمامًا به ﷺ، وتخصيصًا له بهذه المحبّة المذكورة، وتفريقًا بينَ المحبّة العامّة التّي يعطيها اللّهُ تعالى لعباده في الأرض، وبين المحبّة الخاصّة لموسى ﷺ.

بلاغة المجاز في إلقاء المحبّة عليه:

إبـراز المعـقـول فـي صـورة المحسوس، منَ البليغ المأنوس

التّعبير بإلقاء المحبّة في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾، هو تعبيرٌ مجازيٌّ - استعارة مكنيّة - في تعلّق المحبّة به ﷺ، أي: خلق المحبّة في قلب المُحبّ بدون سببٍ عاديّ، حتّى كأنّه وُضِع باليد، لا مقتضى له في العادة[1].

وليس المراد أنّ هناك شيئًا قد أُلقيَ عليه في الحقيقة، ولكنّ المعنى: (إنّني جعلتُكَ بحيثُ لا يراكَ أحدٌ إلّا أحبّكَ، ومالَ قلبُه نحوَك، حتّى أحبّك فرعونُ وامرأتُه، فتبنّياكَ وربّياكَ، واسترضعا لكَ، وكَفلاكَ)، وهذا كقول القائل: (على وجه فلان قبول)، وليس هناك على الحقيقة شيءٌ يومئ إليه، إلّا أنّ كلّ ناظرٍ ينظر إليه يقبلُه قلبُه، وتُسَرّ به نفسُه[2].

سِرّ اختيارِ المحبّة دون القبول:

المحبّة أقـوى في تأثيرها، والقبول أثرٌ من آثارها

أوثِرَ التّعبير بالمحبّة دونَ القبول في قوله تعالى: ﴿مَحَبَّةً مِّنِّي﴾؛ لكون المحبّة أقوى، وما القبول إلّا أثرٌ من آثارها، وفيه إشارةٌ إلى أنّ المحبّة قد تكون أسبابُها ظاهرةً من الجمال الّذي يُعطيه للّه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 217.
(2) الرّضي، تلخيص البيان: 2/ 223.

للإنسان، وهذا ما أعطاه اللّهُ لموسى من بهاءٍ في وجهه، وجمالٍ في عينيه؛ فما رآه أحدٌ إلَّا أحبّه؛ لأنّ اللّهَ تعالى أحبّه وألقى في قلوب النَّاس حُبّه، ففتح قلبَ فرعونَ وامرأتِه لحُبّه، بخلاف القبول؛ فهو أمرٌ قلبيٌّ في الغالب، يتعلّق بالأخلاق الحميدة، والصّفات الرّشيدة، وموسى عليه السلام في هذا التّوقيت رضيعٌ، فلا يناسبه إلَّا المحبّة.

سِرّ وصفِ المحبّة بأنّها منَ الله تعالى:

محبّة موسى عليه السلام، خارقةٌ للنّواميس الكونيّة

وَصْف القرآنُ الكريم المَحَبَّةَ بِأَنَّها مِنَ اللّه، فقال تعالى: ﴿مَحَبَّةً مِّنِّي﴾؛ لِلدّلالَةِ على أَنَّها مَحَبَّةٌ خارِقَةٌ لِلْعادَةِ، لِعَدَمِ ابْتِداءِ أَسْبابِ المَحَبَّةِ العُرْفِيَّةِ مِنَ الإِلْفِ والانْتِفاعِ، أَلا تَرَى قَوْلَ امرَأَةِ فِرْعَوْنَ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [القَصص: 9]، مَعَ قَوْلِها: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ [القَصص: 9]، فكانَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَها قَبْلَ أَنْ يَنْفَعَها، وقَبْلَ اتِّخاذِه ولَدًا[1].

سِرّ التّعبير بلفظ (المحبّة):

قوّةُ المَحبّة في خلوصها من كلّ ما ينغّصها في الواقع

عبَّر القرآنُ الكريم بقوله: ﴿مَحَبَّةً﴾، مصدرًا ميميًّا دونَ الحُبّ؛ لكون المقصودِ بها الحبَّ الخالصَ النّقيَ الخاليَ منَ الأغراض، وعلى هذا، فالتّعبير بـ (المحبّة) آكَد في الدّلالة على قوّتها وخلوصها مِن كلّ ما ينغّصها في الواقع؛ بدليل ما فعله فرعونُ وامرأته في تربية موسى عليه السلام، ولذلك أضافها سبحانه إليه، فقال: ﴿مَحَبَّةً مِّنِّي﴾، أمَّا كلمة الحبّ، فهي كلمةٌ عامّةٌ، تُطلَق على كلّ مَيلٍ إلى المَرغوب المُلَذّ[2].

دلالة التّنكير في قوله: ﴿مَحَبَّةً﴾:

تفخيم المحبّة وتعظيمُها، دليلٌ على المقام والإكرام

دلّ التّنكير في قوله: ﴿مَحَبَّةً﴾ على تفخيمها وبيانِ أنّها محبّةٌ عظيمة، كائنةٌ منَ اللّه، قد زرعها في القلوب؛ بحيث لا يكاد يَرَى أحدٌ موسى إلَّا أحبَّه، ولذلك أحبَّه عدوّ اللّه فرعون[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 217.
(2) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 398.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 15.

سِرّ التعبير بـ ﴿مِّنِّي﴾:

محبّة موسى صُنعَةٌ ربّانية، وليست منحةً بشريّة

آثر البيانُ الإلهي التعبير بـ﴿مَحَبَّةً مِّنِّي﴾، دونَ (من عندي) أو (من لدنّي)؛ تعبيرًا عن قوّة هذا الحُبّ الذي خلقه الله ابتداءً في قلب كلّ مَن رآه، وخصوصًا فرعونَ وامرأتَه، حتّى إنّه سبحانه أضافه إلى نفسه في التّعبير، دونما واسطةٍ لفظيّة، وإن كان اللّفظ موضوعًا للقُرْب كـ (عند)[1] أو (لدن)، ولأنّ كلمةَ (مِنْ) في قوله: ﴿مِّنِّي﴾، متعلِّقةٌ بمحذوفٍ، هو صفةٌ لـ ﴿مَحَبَّةً﴾، مؤكّدةٌ لما في تنكيرها منَ الفخامة الإضافيّةِ؛ أي: محبّةً عظيمةً كائنةً منّي، قد زرعتُها في القلوب، بحيثُ لا يكاد يَصبِر عنك مَن رآك، ولذلك أحبّك عدوُّ الله وآلُه[2].

دلالة العطف في صنعه على عين الله:

تخريج العطف، تبعًا لتحديد المتعلَّق

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾، عاطفةٌ على فعلٍ محذوف تقديره: (لتَنْعَمَ بمحبّة الله ومحبّة النَّاس، ولتُصْنَع على عين الله تعالى، وتحتَ رقابته وعنايته)، أو تكونَ متعلّقةً بفعلٍ مُضْمَرٍ مُؤَخّر أي: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ فعلتُ ذلك. - أي: إلقاء المحبّة عليك - وحينَئِذٍ يكون العطفُ على الجملة السَّابقة، بإضمار هذا الفعل المُعَلّل[3]، والوجه الأوّل هو الأولى.

دلالةُ تعدّد القراءات في قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾:

اللّام بينَ التّعليل والأمر، وأثره على المعنى في السّياق

قرأ الجمهور قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ بكسر اللّام ونصب العين، وقرأ أبو جعفر بإسكان اللّام وجزم العين ﴿وَلْتُصْنَعْ﴾[4]، فعلى قراءة الكسر، تكون اللّام للتّعليل، وهي الّتي يُقال لها: لام (كي)، والمعنى: (لأجل أن تُصنع على عيني، بأن تكون تحت عنايتي الخاصّة

(1) الرّاغب، المفردات: (عند).
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 15.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 503، وشيخ زاده، حاشية زاده: 5/ 616.
(4) ابن الجزري، النشر: 2/ 320.

ورعايتي، ولِتُربّى بالحُنوّ والشّفقة بمراقبتي وحِفظي)[1]، وعلى قراءة إسكان اللّام وجزم العين تكون اللّام للأمر، وهو أمرٌ معناه: (لِتُرَبَّ ولْيُحْسَنْ إليك)[2].

وفي تعدّد القراءة إشارةٌ إلى أنّ صناعة موسى عليه السلام لها جانبان: جانبٌ فطريّ، وهو ما قامت به أُمّه من إرضاعه وقَذْفه في التّابوت، وإلقائه في اليمّ بإلهام الله لها، وجانبٌ خارجيٌّ يكون بالأمر وليس بالاختيار، كما في تربية فرعون لموسى عليه السلام، مع شِدّة عداوته لبني إسرائيل، ولكلّ نسلهم.

بلاغة المجاز:

تمثيل المعنى، يُكْسِب العبارةَ طلاوةً وجمالًا

تظهر بلاغةُ المجاز في قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ باستعارة لفظ (الصُّنْع) لِلتَّرْبِيَةِ والتَّنْمِيَةِ؛ تَشْبِيهًا لِذَلِكَ بِصُنْعِ شَيْءٍ مَصْنوعٍ، ومِنْهُ يُقالُ لِمَنْ أَنْعَمَ عليه أَحَدٌ نِعْمَةً عَظيمَةً: هوَ صَنيعَةُ فُلانٍ[3].

سِرّ التّعبير بلفظ (الصّنع):

التّربيّة الخاصّة المُعدَّة بعنايةٍ ربّانيّةٍ، تُؤتي أُكُلَها بإذن ربّها

آثَرَ القرآنُ الكريم التّعبيرَ بالصّنع في قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ دون التّربية، مع دلالة لفظ الصّنع على التّربية والرّعاية؛ فيقال مجازًا: صنع الرّجلُ جاريتَه، إذا ربّاها، وصنع فرسَه إذا داوم على علفه والقيام عليه[4]؛ لأنّ المراد بالصّنع تربيّةٌ خاصّةٌ قد أعدَّها اللّهُ له، بما لا يخطر على بالٍ، فقد شاء له أن يُربّى في بيت فرعون؛ فيُنَعّمَ ويُترفَ ويَتغذّى غذاءَ بيتِ الملوك والفراعنة، ويُرْعَى رعايةَ أبنائهم؛ فلا ينفكّون عن الاعتناء بمصالحه عنايةً شديدة"[5]، وهذا المعنى لا يتأتّى إلّا مِن لفظ الصّنع، الّذي يدلّ على مزيدٍ منَ التّربية والرّعاية بأخذ أسبابها.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 15.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 8/ 37.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 218.
(4) القنوجيّ، فتح البيان: 8/ 230.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 287.

دلالة تَعدّي الصّنع بـ ﴿عَلَىٰ﴾:

المبالغة في الحفظ، دلالةٌ على الرّعاية الفائقة للمُعْتَنى به

تعدّى الفعلُ ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ هنا بحرف الجرّ ﴿عَلَىٰ﴾، المفيدةِ للاستعلاء المَجازيِّ، والمعنى: (لتكونَ يا موسى مستعليًا على حافظيك، غيرَ مستخفٍ في تربيَتك من أحد، ولا مخوفٍ عليكَ منه، وأنا حافظٌ لك، حفظَ مَن يُلاحظ الشّيء بعينه، لا يغيب عنه؛ فكان كلُّ ما أردتُه؛ فلمَّا رآك هذا العدوّ أحبّكَ، وطلبَ لكَ المراضعَ؛ فلمَّا لم تقبل واحدةٌ منهنّ، بالغ في الطّلب، كلُّ ذلك إمضاءً لأمري، وإيقافًا لأمره بنفسه لا بغيره)، ليزداد العجب[1].

بلاغة المجاز بقوله: ﴿عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾:

إطلاق السّبب على المسبَّب، من فصيح البيان

عبَّر بالعين في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ بمعنى الرّعاية، على سبيل المجاز المرسل، مِن إطلاق السّبب على المسبّب، فإنّ النَّاظر إلى الشّيء يحرسُه عمَّا لا يريد في حقّه، ويراعيه حسبما يريد فيه[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

القذف والرّمي:

القذف أخصّ من الرّمي، فيُطلَق على البعيد والشّديد في المعاني النّفسيّة

هنالك أكثر من مُشترَكٍ بينَ القذف والرّمي، سواءٌ في الدّلالة الحقيقيّة المطابقيّة، أو في الدّلالة المجازيّة؛ فيُستعمَلان في الأعيان وكذلك في المعاني، ومن مصاديق ذلك أنّ كلًّا منهما يُطلَقُ على معنيَي: الإلقاء والوضع، ثمّ إنّ كلًّا منهما يُطلَقُ مجازًا على الشّتم والعَيْب والسَّب[3]، ويُفَرَّقُ بينهما: أنّ القذف يقال للرّمي البعيد، ولاعتبار البعدِ فيه، قيل: منزلٌ قَذَفٌ وقَذيفٌ، وبلدةٌ قَذوفٌ: بعيدة، أمَّا الرّمي فهو أعمّ، إذ لا يُشترط فيه البعد، وعلى هذا، فالتّعبير في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾، أنسب وأولى،

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 5/ 19.
(2) شيخ زاده، حاشية زاده: 5/ 616، وصديق خان، فتح البيان: 8/ 230.
(3) الرّاغب، المفردات، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (رمى، قذف)، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 481.

سواءٌ حُمِلَ القذفُ في التَّابوت على معنى الوضع، أو على معناه المجازيّ الّذي يُنبئ عن المعاناة النّفسيّة الّتي عاشتها أمُّ موسى، وهي تمرّ بمرحلتي القذف في التَّابوت واليمّ؛ وذلك للخطر المُحْدِق بأمّ موسى ﷺ مِن أعوان فرعون لقتل وليدها؛ فكان التّعبير بالقَذْف تصويرًا لحالة السّرعة الّتي قامت بها أمّ موسى ﷺ.

اليمّ والبحر والنّهر:

اليـمّ يـقـال باعتبار العمق، والبحر باعتبار السّعة، والنّهر باعتبار التّدفّق

أصل (نَهَر) يَدُلُّ على تَفَتُّح شَيْءٍ أَوْ فتْحه، وأَنْهَرْتُ الدَّمَ: فتَحْتُهُ وأَرْسَلْتُهُ، وسُمّيَ النَّهْر نهرًا؛ لِأَنَّهُ يَنْهَرُ الأَرْضَ، أَيْ: يَشُقُّها، واسْتَنْهَرَ النَّهْرُ: أَخَذَ مَجْراهُ، وأَنْهَرَ الماءُ: جَرَى، والنّهرُ: مَجْرَى الماءِ الفائِضِ، وجمعُه: أَنْهارٌ، قال تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الكهف: 33][1]، ومن مستتبعات ذلك ولوازمه، أن يكون الماء كثيرًا، حتّى يشقّ طريقَه بشِدّة جريانه، وكثافة مائه.

واليمّ أيضًا هو البحر، وعُبّر عنِ البحر - وهو هنا نهر النّيل - بـ (اليمّ)؛ دلالةً على عمقه وكثرةِ مائه، بحيثُ لا يُدْرَك قَعْرُه[2].

والبَحْر: كلّ مكانٍ واسعٍ جامعٍ للماء الكثير، هذا هو الأصل، وسُمّيَ البَحْرُ بَحْرًا لِاسْتِبْحارِه، وهوَ انْبِساطُهُ وسَعَتُهُ، واسْتَبْحَرَ فُلانٌ في العِلْم، وتَبَحَّرَ الرَّاعي في رِعْيٍ كَثيرٍ ... ، ورَجُلٌ بَحْرٌ: إذا كانَ سَخيًّا، سَمَّوْهُ لِفَيْضِ كَفِّه بِالعَطاءِ كَما يَفيضُ البَحْرُ[3].

ومن خلال هذا العرض: يظهر لنا المشترك بين كلٍّ منَ البحر والنّهر واليمّ من حيثُ إنّ كلًّا منها يدلّ على المكان ذي الماء الكثير، فيما هو معروفٌ دلالته في الواقع، غيرَ أنّ اليمّ يقال باعتبار العمق، والبحرَ باعتبار السّعة، والنّهرَ باعتبار الجري والتّدفّق، وهو أقلّ منَ البحر.

(1) الرّاغب، المفردات، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (نهر).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (يمم).
(3) الرّاغب، المفردات، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (بحر).

المحبّة والقبول:

المحبّة: هي الحبّ الخالص النّقيّ، واللّفظ مصدرٌ ميميٌّ، قُصِدَ به التّعبيرُ عن خلوص الحُبّ بصيغةٍ مؤكِّدةٍ للمعنى المُراد، وأمَّا القبول: فهو أقلّ دلالةً من معنى الحبّ، فضلًا عن معنى المحبّة، فقد يقبل المَرءُ ما لا يحبّه، ولذا كان التّعبير بالمحبّة هنا أدلُّ وأقوى في وصف المقصود.

المحبة أقوى من القبول، وكلاهما واردٌ من الفصيح المنقول

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»